

## الأب ليف جيله: راهب من الكنيسة الشرقية، الجزء الأول المتروبوليت سابا (اسبر)

الأب ليف جيله (١٨٩٣-١٩٨٠) رجل عشق المسيح وشفاء إنجيله. قضى حياته في سعي متواصل لمجد كنيسة المسيح وعيش بساطة إنجيله؛ في فقر جعله بخفة العصافير. أبٌ معرّف من الطراز الرفيع. جعله تركيزه على جسد المسيح الحيّ الذي يتجاوز القوميات والثقافات والمذاهب، على كنيسة المسيح التي يحييها الروح القدس وحده، يطلب وحدة كنيسة المسيح أينما عمل. توفقه إلى وحدة الكنيسة ساهم في أن يلعب دوراً ملهماً لحركات أرثوذكسية شاملة ومسكونية أصيلة عديدة، كما عمل على وحدة أرثوذكس الغرب. وعلى تزويد الغرب بنفحات الشرق. وكان صديقاً وفتياً حتى الممات لكنيسة أنطاكية التي أوقف حجّه إلى الأراضي المقدّسة بعد العام ١٩٦٧ تضامناً مع أصدقائه فيها.

نشأ على التقوى في كنف عائلة كاثوليكيّة ملتزمة. فاق تواضعه حدّة ذكائه وتفوقه العلمي والبحثي. لم يعرف أقرب أصدقاءه عدد اللغات التي أتقنها لكثرتها ولتواضعه. تابع الفلسفة في السوربون، لكنّه استدعي إلى الخدمة العسكرية، وجرح في الحرب فأسره الألمان وأرسلوه إلى معسكر اعتقال، فتعلّم اللغة الروسيّة من السجناء الروس. صحّته الضعيفة جعلتهم يرّحلونه إلى مدينة جنيف حيث استطاع أن يدرس التحليل النفسي وعلم النفس الاختباري فاكتشف دقة الاختبار العلمي.

دخل الرهبنة البندكتية وتابع في روما دروس في اللاهوت والعقيدة اللاتينيّة. هناك بدأ انفتاحه على الكنيسة الشرقية، كذلك لعب ميتربوليت الروم الكاثوليك الأوكراني "أندريه سيبتيني" دوراً مهماً في توجّه الأب جيله نحو الكنيسة الشرقية ووحدة الكنيسة. بعد متابعته دروساً في آباء الكنيسة والكتاب المقدّس والروحانيّة البيزنطيّة، التحق بدير أسّسه المطران أندريه في أوكرانيا بهدف التقارب مع الكنيسة الروسيّة. هناك جدّد نذوره الرهبانيّة واتّخذ اسم ليف، ثمّ قدّم نذوره الأبديّة ورُسّم كاهناً.

خدم الروس المهاجرين في جنوب فرنسا بكلّ تفان. وكتب إلى صديقه: "لا أبغي القيام بأيّ تبشير ديني، وبرنامجي سهل سأخصّص ساعتين للصلاة

الذهنية يومياً، واحتفل بالفروض الكنسيّة الشرقيّة، وألتزم بالتقشّف الروسي كالنهوض للصلاة ليلاً، والصوم يوم الجمعة والتعقّف الدائم... " وأضاف: "أشعر بنفسي بعيداً عن الكهنة والكنائس والإكليروسية واللاهوت وذهنيّة المعاهد الدينيّة... لا أجد اكتفاء أو رضى إلّا في الإنجيل ... أجد المسيح عندما أعمل، وبين العمّال أستطيع أن أجد المسيح في الناس وبواسطتهم ومن خلالهم". ذكرت إحدى قريباته: "في أحد الأيام قصدي على عجل طالباً أحد سراويل زوجي لأنّه كان قد أعطى سرواله لأحد المتسولين."

صدور الرسالة البابويّة (١٩٢٨) التي أكّدت على أنّ: "الوحدة لا يمكن أن تتحقّق إلّا بعودة كلّ من انفصل عن حضن الكنيسة (الكاثوليكية) الوحيد، عبر الخضوع للبابا عندما يعلم وبالطاعة له عندما يأمر"، صدمه ودفعه إلى اتّخاذ قرار كان قد أمعنه درساً خلال الأشهر المنصرمة، فترك الكثلكة والتحق بالكنيسة الأرثوذكسيّة.

وجد تزواجاً فرحاً بين التعلّق بالتقليد والانفتاح على العصريّة ورسوخاً في الإيمان الأرثوذكسي الروسي التقليدي المقترن بالعزم على مواجهة مشاكل العالم المعاصر. لم يتردّد في كتابة رأيه: "الشبيبة الروسيّة في باريس تساعدني على فهم الكنيسة الناشئة في "القدس" تماماً كما يصفها كتاب أعمال الرسل". وغدا المفسّر الذي لا يمل من اكتشاف المعاني الجديدة في الكتاب المقدس. وكم ساعدت تأملاته البسيطة والعميقة في آن المؤمنين على اكتشاف غنى الإنجيل لحياتهم.

فهم الرعيّة الموضع الذي يؤكل فيه كلمة الربّ والقربان المقدّس، بالإضافة إلى كونها مكان الشراكة الأخويّة. فشدد على التفعيل الوجودي للإفخارستيا على الصعيدين الاجتماعي والشخصي وبين الناس. في رسائله إلى أبناء رعيّته كان يدعو الأرثوذكس إلى الانتباه والتهيّؤ إزاء علامات الزمن، وإلى تجاوز روحانيّاتهم الضيقة وإلى أن يواكبوا بصلواتهم الأحداث المهمّة في الكنائس الأخرى وفي العالم. ولمّا كان أباً معرّفاً أثبت أنّه مرشد حقيقي للنفوس؛ إذ كان يستمع إلى أبنائه بشغف ثمّ يسلط نور الكلمة الإلهيّة بصرامة مفعمة بالحنان. إنّ تدرّبه على التحليل النفسي سمح له بالتطرّق إلى المشاكل

المتعلقة بالأمور الجنسية بلباقة مقترنة بوضوح لا يشوبه أيّ احتشام مزيف.

قضى فترة في الأراضي المقدّسة اختبر فيها تجربة روحية فائقة أثرت حياته الروحية، وقال في رسالة كتبها لإحدى السيّدات القريبات منه: "لا أستطيع أن أفكر بالخليل من دون أن ينفطر قلبي. لا أتمكّن من وصف هذه الخبرة الروحية التي مررت بها في طبريا على ضفاف البحيرة، فلقد بلغت القمّة في حياتي، ويجب أن أعود إلى هناك. وبالطبع منذ ذلك الحين أنا في باريس غريب وزائر حزين. أنا أنتظر شيئاً ما يجب أن يأتي أو كلمة قد يُنطق بها قريباً."

عمل من العام ١٩٣٥ مع الأم ماريا سكوبتسوف<sup>١</sup> التي أقامت ديراً هو عبارة عن مركز نشاطات اجتماعية وثقافية في آن واحد. كان الأب جيله يرافق الأم ماريّا في جولاتها على الحانات بحثاً عن متشرّدين روس.

في العام ١٩٣٨ قرّر أن يستقر في لندن. هناك، في لندن، أحبّ أن يصف ذاته بأنّه كاهن "خارج الملاك"، ولكنّه التزم بطاعته لأسقفه. ومنذ ذلك العام سيبدأ بكسب رزقه بعمله في المتحف البريطاني. وعندما غادر باريس وزّع كلّ ما يملك، وكان قليلاً، ولم يُحضر معه إلى لندن إلا إنجيله. كان الأب جيله علامة فارقة لتميّزه بنوعية ثقافية وروحية عالية وبأسلوب بسيط وسّمه.

---

<sup>١</sup> أعلنت البطريركية المسكونية قداستها في تشرين يناير ٢٠٠٤.